وماذا قالوا لك في المرة الاخيرة ؟

خياليون . . خياليون ايها العرب .

ولو أعطوك كل شيء ، فماذا أنت فاعل . هل ترضى ؟ هل تكف عن البحث عن نقطة انفجار ؟ وهل تأتمن الفرح ؟ . أن من سلبك كل شيء لن يعطيك اي شيء . ولو أعطاك أهانك . « كن عاقلا واذهب الى الطين » هكذا قلت لنفسك ، ولم ترد على سؤالي : لو أعطوك كل شيء ، فهل تأتمن الفرح ؟ . وتلتفت الى أيامك وتصنف أجمل الشعارات التي حملتها وسرت بها الى السجون :

تصريح سفر . .

حرية تعبير . .

مساواة . .

وفجأة تضحك ، تضحكك المساواة بين المحتلين والغزاة . وأنت تناضل لكي لا تأتمن الفرح . . ولقد علمتك الايام أن تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية ، فمن أين يأتيك فجأة ؟

٢

تنتظر شيئا آخر . .

حالة الانتظار هي المبرر الوحيد لاقتناعك بمطالب تبقى صالحة ، طيلة السنة ، وتسفر عن سماجتها في منتصف أيار دائما .

لست مسؤولا عن شيء مما مضى . ليس الماضي من صنع يديك وأخطائك . ولكنه ميراثك . هل ذهبت الى طبريا مثلا ؟.

تقرأ شعرا عبريا في وصف هذه المدينة التي تحمل بحيرتها وتنزل الى تحت . وأنت لا تراها . هل تكون تافهة رغبتك الجامحة في لقياها ؟ وهل يكون كفاحك رخيصا لو طالبت بالسفر الى مدنك ؟. لا . ولكنك تنتظر . ولماذا ترى طبريا ما دامت المدافع العربية تطل عليها وتعدك بها ؟

تنام وجهاز الراديو ساهر في سريرك . تعرف أسماء المذيعين في كل الاذاعات العربية ، ومواعيد نشرات الاخبار ، وتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، والاغاني والتمثيليات . وكلها جميلة . كل ما يفعله العرب جميل لانه ظهرك . لا يعترض أحد على أصوات مضيفات الطائرة ، فكلها أصوات جميلة ما دامت تعلن عن قرب هبوط الطائرة في مدينة ما . وكل المذيعين والعاملين في الاذاعة والقرآن وعدوك بسلامة الوصول الى المدن التي تشتهيها. ليس من حقك ، الان ، ان تعرف الحقيقة لان الحقيقة قد تعني انتهاء حقك في الانتظار . ويوم ثار الجدل بين النقاد على تحديد شخصية « جودو » اللامعقولة ، لم تفهم دواعي الضجة ، وكنت أذكى من كل النقاد ومن بيكيت نفسه . فمن انتظر العرب عشرين عاما يعرف جودو .

وهل ذهبت الى قيساريه ؟

تقرأ شعرا عبريا في وصف هذا الشاطىء الذهبي ، وتشعر بالنشوة . وحين كانت العرب تخطىء في نطق أسماء مدنك وقراك لم تكن تغضب عليهم ولا تعاتبهم . كنت تلجأ الى دليل الاسماء العبرية وتفهم . ثم تبتسم للاخطاء العربية كما يبتسم الاب لاخطاء طفله الذي يتدرب على النطق .

وكنت تتساءل أحيانا :